مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية — جمادى الآخرة ١٤٠١
المجلد الرابع ـ العدد الاول من ١١ الى ١٩ — نيسان ١٩٨١

المشكلات النظرية للترجمة

الدكتور نجيب عزاوي
كلية الآداب

تعرض المقالة للقضايا والصعوبات التي تعترض المترجمين، وتتصدى بالتحليل لمشكلات ترجمة أربعة :

- الترجمة وموقف علم اللغة من المعنى .
- الترجمة وتعدد الحضارات
- فحوى المفهوم Connotation والترجمة .
- والترجمة والاتصال بين البشر.

ثم تعرض القضايا التي تجعل الترجمة ممكنة نسبيا ونشير بهذا الصدد الى وجود

- الشموليات البيولوجية .
- الشموليات اللغوية .
- الشموليات الثقافية .

نبدأ مقالتنا هذه بملاحظة حول العنوان . لماذا خصصنا المشكلات النظرية بالحديث ؟ لأننا عمليا نترجم ،غير أننا هنا سنعالج موضوع الترجمة من وجهة نظر علم اللغة ،وسنعرض لموقف لهذا العلم من هذه العملية .

سنلاحظ أن علم اللغة يشير ،من خلال تحليله لظاهرة اللغة ،الى مجموعة معوقات تجعل الترجمة عملا شاقا اذا لم نقل مستحيلا ،وذلك رغم وجود الآف الكتب المترجمة في مختلف الاختصاصات والموضوعات ،ورغم وجود دروس الترجمة في كافة المؤسسات التعليمية،ورغم وجود مدارس لتعليم الترجمة في مختلف انحاء العالم .

ان الناظر الى مايدور حولنا في العالم ،يلاحظ النشاط المتزايد لعملية الترجمة وهو يلاحظ ،اضافة الى ذلك ،غياب دراسة الترجمة كحدث لغوي قائم ضمن الدراسات اللغوية . فالترجمة حتى اليوم قطاع غير مسبور ومجهول ولاعجب من ذلك فهي علم يقف على مفترق طرق : علم اللغة والمنطق وعلم النفس وعلم التربية ، ودون أن يعنى أي من هذه العلوم به .

ونلاحظ أن الكثير من المدارس والهيئات والافراد الذين تصدوا للترجمة عبر التاريخ وحتى يومنا هذا ، قد مارسوا ذلك دون نظرية محددة . كما نلاحظ أن الترجمة قد ظلت مسألة هامشية لدى علماء اللغة جميعا . ونذكر رأيا للغويين معاصرين (فيدوروف ودار بيليني) يؤكدان فيه على ضرورة اعتبار الترجمة مادة دقيقة من مواد علم اللغة لها فنونها ومشكلاتها الخاصة . غير أن المترجمين اعترضوا على هذا الرأي ،فهم يعتبرون الترجمة فنا قائما بذاته بعيدا كل البعد عن كونه عملية لغوية . فالترجمة عمل أدبي وترجمة الشعر تحتاج الى شاعر ،وترجمة المسرح الى مسرحي .... وهكذا.

وما من شك في أن الترجمة الفنية عمل أدبي غير أنه بحاجة الى المعرفة اللغوية من أجل النفوذ الى النص على الأقل .

وبعد هذه المقدمة ،نتطرق الى معالجة مسألة الترجمة من خلال مجموعة قضايا تعتبر معوقات تجعل من تلك العملية قضية نسبية محضة .

أولا : الترجمة على ضوء النظريات اللغوية حول المعنى :

يرى فردناند دوسوسور أن الرمز اللغوي يجمع بين مفهوم وصورة صوتية تنطبع في "الدماغ" [1]، وليس بين اسم وشيء كما قال بذلك أفلاطون . وينفي هذا القول ،في حد ذاته ،فكرة الترجمة . فهو لايعتبر اللغة مجموعة مصطلحات تشير الى اشياء موجودة . وتتمثل العملية المعقدة التي تربط معنى برمز لغوي بوجود مجموعة من الرموز التي تشير الى حقيقة ما تشكل حقلا معنويا تتحدد معاني الكلمات فيه من خلال علاقاتها ببعضها البعض . فمعنى أو مفهوم كلمة الخوف ، انما يتحدد من خلال علاقاتها مع كلمات اخرى ترتبط بالحقل المعنوي نفسه : الفزع ، الهلع ،الرعب ....الخ . ويشكل هذا الوضع عائقا للترجمة اذ تعني الترجمة على هذا الاساس أن نخرج كلمة من نظامها الذي يحدد قيمتها المعنوية وأن ندخلها في نظام آخر قد يشكل خللا في هذه القيمة .

ويقدم بلومفيلد ، احد أوائل علماء اللغة الأمريكين ،تحليلا سلوكيا للمعنى اذ يقول : المعنى هو الموقف الذي يتحدث فيه المتكلم بعبارته والرد الذي يتم عملية . يترتب على هذا القول أن معاني الجمل انما يرتبط بمعرفة العالم . وبما أن معرفتنا عن العالم ناقصة فان الترجمة مستحيلة من وجهة نظر علمية طالما أن نفي امكانية معرفة المعنى يحتم نفي الترجمة .

ولقد انطلق علم اللغة الحديث من هذه المقولات ليستبعد دراسة المعنى من الدراسات اللغوية مما أدى الى اهمال دراسة الأسس النظرية للترجمة .

ولقد ساد الاعتقاد في علم اللغة الحديث ، ايضا ، أن بنى اللغة انما تعكس بنى العالم والبنى العامة للفكر الانساني :

---

(١) بالنسبة للرمز اللغوي "أخت" مثلا يجمع بين مفهوم (أخت) وبين الصورة الصوتية التي تتألف من تتابع أ + خ + ت وانطباع هذا التتابع الصوتي في الدماغ . انظر بهذا الصدد مقالتنا المنشورة في مجلة المعرفة ،العدد ٢٠٢ ـ كانون الاول ١٩٧٨ .

فهناك اسماء وضمائر في اللغة وهناك أشخاص في العالم
وهناك افعال في اللغة وهناك احداث في العالم
وهناك نعوت في اللغة كما أن هناك صفات في العالم
وهناك ظروف في اللغة كما أن هناك صفات لأحداث العالم
وهناك أدوات للربط في اللغة وهناك علاقات منطقية للارتباط والزمن والمكان والعطف والوصل بين الاشخاص والاحداث في العالم .

كما ساد الاعتقاد ،عموما ،بأن اللغة تحدد رؤيتنا للعالم ،فمن خلالها تتحدد مفاهيمنا عنه وفهمنا له وكذلك قيمنا عن الحقيقة الموضوعية . فكل لغة تقسم العالم حسب بناها اللغوية . يؤدي اختلاف أنظمة الفعل في اللغة الفرنسية والعربية ،مثلا ،الى اختلاف بين الفرنسي والعربي في رؤية الحدث [1] يقول ماسون اورسيل بهذا الصدد :((ان منطق كل مجتمع هو المحاكمات التي يوحي بها نحو لغته اليه)) ويقول مارسيل كوهين : ((لكل شعب المنطق الذي يكشفه نحو لغته)). ويترتب على ذلك ان المعاني غير شمولية فالناس يتكلمون عن شيء واحدولكن من وجهات نظر مختلفة . وعلى هذا الاساس فان الترجمة مستحيلة طالما أننا لانتحدث بالطريقة نفسها عن الشيء نفسه . ولنحلل رؤية الفرنسي والانكليزي لعبور النهر سباحة من خلال لغتيهما .

(1) IL TRAVERSA LA RIVIERE A LA NAGE.
(1) HE SWAN ACROSS THER RIVER

ففي(١) نلاحظ أن الفاعل والمفعول واحد (IL) كما نلاحظ أن هناك تركيزا على مظهر الحدث (الانتقال في الفضاء).

وفي (٢) نرى أن هناك تركيزا على المظهر الحركي في الفعل to SWIM ونطرح السؤال التالي :

أي الجملتين تعكس الحقيقة الموضوعية ؟

والجواب هنا :

لاعلاقة بين المعرفة الموضوعية والبنى اللغوية ،فهناك واقعة مادية واحدة تعبر عنها بنى لغوية مختلفة .

ونلاحظ من جهة اخرى أننا لانزال نستعمل((تشرق الشمس))

---

(١) نجد في العربية الماضي والمضارع والامر ،فيما نجد في الفرنسية الأزمنة المطلقة : الماضي والحاضر والمستقبل والأزمنة النسبية مثل الماضي بالنسبة للمستقبل ،والمستقبل بالنسبة للماضي الخ ....

((تغرب الشمس)) فتبدل المعرفة الموضوعية لم يؤد الى تغير في البنية اللغوية .

ثانيا : الترجمة وتعدد الحضارات :

استعرضنا فيما سبق معوقات الترجمة من خلال مايعرف بـ((علم اللغة العام)) اذ طرحنا القضية من خلال مشكلة المعنى المعقدة في هذا العلم .

أما الآن فسنعالج المشكلة من وجهة نظر علم اللغة الاجتماعي وننطلق هنا من المقولة التالية :

هناك حضارات مختلفة وعوالم مختلفة تعبر عنها اللغات بطرائق مختلفة والترجمة اذن مستحيلة على هذا الاساس . فهناك تقسيمات مختلفة للواقع بين لغة واخرى ،كما أن هناك قضايا للترجمة غير موجودة في لغات أخرى ونضرب الامثلة التالية :

- ترجمة حكم الطلاق في مجتمع لايعرفه مستحيلة (لغة التوتوناك) .
- ترجمة زراعة النثرلشعوب هندية تغرس البذار غرسا .
- كيف نشرح ونترجم الفصول الاربعة لشعوب لاتعرف سوى فصلين كما في المناطق الاستوائية ..
- كيف نترجم أسماء أنواع الحلوى الفرنسية الى العربية وبالعكس
- كيف نترجم اسماء أنواع الخبز الفرنسي (١).
- أسماء الأقمشة : بولسيتر ،جنز ،ديولين
- أسماء الرقصات ،الجيرك ،السلو،الفالس ،التازوركتا الكازاتشوك ،الروك .....

ان صعوبات الترجمة تأتي هنا من البيئة ،من الثقافة التكنولوجية من الثقافة الاجتماعية (العادات) من الثقافة الدينية من الثقافة اللغوية (حال وجود بنى لغوية في لغة ما وعدم توفرها في لغات اخرى)

وعلى أية حال ، ان وجود الكلمات الاجنبية وتبنيهافي اللغات المختلفة خير دليل على استحالة ترجمتها رغم تقارب الحضارات (٢) .

---

(١) فنوع الطحين والخميرة وطريقة الطبخ تحدد هذه التسميات . وأشير بهذا الصدد الى أن أحد الافران في مدينة كان الفرنسية كان يعلن عن ٢١ نوعا من الخبز .

(٢) نشير الى وجود مئات الكلمات الامريكية والانكليزية في اللغة الفرنسية .

ثالثا فحوى المفهوم والترجمـــة :

ونشير هنا الى مايعرف باللغة الاجنبية بـ CONNO TATION . فكل كلمة توحي لذهن المستمع أو المجموعة اللغوية بعدد من الصفات والقضايا المميزة تحدد المفهوم المرتبط بهذه الكلمة . وقد خص بلومفيلد لهذه المسألة خمس صفحات في كتابه "اللغة" وأشار ،في حديثه عن توسع دلالات الكلمات ،الى وجود صفات اضافية أسماها CONNO TATION ،وقال بأن هذه الصفات غير قابلة للحصر وأنها مستحيلة التعريف كونها تتبدل حسب المتكلمين فهي تمثل المظاهر الانفعالية للكلمات وما تثيره وترتبط به من أحاسيس . ويرى بلومفيلد في فحوى المفهوم قيمة اضافية للمعنى لايمكن أن تتميز بوضوح عنه فهي مرتبطة ارتباطا وثيقا به . ويعني ماسبق أن فحوى المفهوم مسألة تعالج العلاقات بين الرموز اللغوية ومستعمليها (المتكلم والمستمع) . ونضرب على ذلك الامثلة التالية :

- ماتثيره كلمة "فيل لدى الهنود وماتثيره لدى الروس .
- ماتثيره كلمة "كلب"لدى شعب الاسكيمو وماتثيره لدى الانكليز .

غير أن هذه العلاقات بين الرموز اللغوية والمتكلمين والمستمعين غير مستقرة فهي تتغير مع كل فرد ،ومع الفرد الواحد في مواقف عديدة :

ففحوى كلمة "طائرة" تختلف بالنسبة لمسافر في رحلة .
لمن لم يركب الطائرة أبدا .
لمن تعرض لحادث في طائرة .

كل ذلك يشير الى أن فحوى المفهوم يشكل أحد العوائق الاساسية لعملية الترجمة ،فحين نترجم نجتزيء تلك القيمة الاضافية الاساسية من المعنى التي اشار اليها بلومفيلد .

رابعا الترجمة واللغة والاتصال بين البشر:

لقد انحصرت صعوبات الترجمة منذ شيشرون فيما يعرف بصعوبات الاسلوب والجانب الشعري فيها . غير أن هذا لم يكن يمنع من الاعتقاد بأن المترجمين كانوا يدركون المعنى ويستطيعون التعبير عنه منطلقين من مسلمة اساسية في الترجمة تقول أن من الممكن دوما نقل كل شيء وفورا من لغة الى أخرى . وتستند هذه المسلمة على مسلمات اخرى :

١ ـ وحده التجربة الانسانيـــة
٢ ـ وحده العقل البشـــــري
٣ ـ شمولية أشكال المعرفـــة

ولقد لاحظنا حتى الآن أن علم اللغة قد أشار الى صعوبات بعيدة كل البعد عن المسائل الاسلوبية أو الشعرية . وأكد على صعوبات ترتبط باختلاف الحضارات ورؤية العالم .

غير أن بعض علماء اللغة وعلماء النفس يرون باستحالة الاتصال بين البشر واستحالة نقل أي شيء عبر الكلام . وهم يقرون باستحالة الترجمة وبأن كل ماننقل أو نتلقى انما هو وهم ،فكل مايجري حولنا وفينا غير قابل للتعبير عنـــه .

ومع ذلك يظل الاتصال ممكنا فهناك وقائع عامة متواجدة لدى أفراد الجماعة اللغوية ،أما الوقائع البسيطة الخاصة التي تختلف فيها الناس فهي غير ذي بال .

فمفهوم "التفاحة" موجود لدى كل أفراد الجماعة اللغوية فيما الشكل واللون والرائحة قضايا غير مميزة بالنسبة للمفهوم العام

وعلى أية حال كما أن هناك مستويات في الاتصال البشري فهناك بالتالي مستويات في الترجمـــة .

والآن لماذا وكيف والى أي حد تكون عملية الترجمة ممكنة نسبيا ؟ ان الجواب عن هذا السؤال الثلاثي يتمثل في القول بوجود الشموليـــات اللغوية . وتلك فكرة قديمة جديدة . قال بها الاقدمون كما طرحهـا علم اللغة الحديث . فعلى الرغم من وجود اختلافات في رؤية العالـــم فهناك قضايا تتعلق بالطقس والزراعة والحيوان متشابهة لدى شعـــوب العالـــــم :

١ ـ الشموليات البيولوجيـــة :

فالناس يتشابهون في نشاطات الطعام والشراب والتنفس والنوم والجنس .... فوجود الناس في الكوكب نفسه يخلق تشابهـا فيزيولوجيا وسيكولوجيا بينهـــم .

٢ ـ الشموليات اللغوية :

ونشير بهذا الصدد الى القضايا التالية :

ـ ان معظم لغات العالم تتألف من عدد محدود من الفونميات(١)
ـ أن الجمل تنقسم الى كلمات في كل لغات العالم
ـ وجود الاسم والفعل في كل لغات العالم تقريبا
ـ وجود الضمائر في كل لغات العالم تقريبا .
ـ وجود أدوات الربط والوصل والعطف

ونقول هنا ان أية نظرية ترجمة لاتتطلب أكثر من ذلك .

٣ ـ الشموليات الثقافية :

وهي تشير الى الشموليات المرتبطة بحياة الانسان في مجتمع كالزواج واللغة والتشريع والتكنولوجيا . ان التقارب الثقافي يؤدي الى التقارب اللغوي ومن الملاحظ في ايامنا هذه أن ليس هناك ثقافة معزولة مع وجود هذا التقدم الهائل في وسائل النقل والاعلام .

ان كل ماتقدم يؤكد فكرة معروفه منذ قديم الزمن لدى المترجمين الاغريق . فقد ألح هؤلاء على الجانب المادي في عملية الترجمة وأشاروا الى أن الترجمة ليست عملية لغوية فقط ،فهي تتم على وقائع مرتبطة بقضايا ثقافية حضارية . يقول ميشيل بريال ،أحد علماءاللغة في بداية هذا القرن ،ان الترجمة من اللغة اللاتينية تتطلب معرفة اللاتينية وتاريخ الأمة اللاتينية . كما أن أنطوان ميي ،وهو أيضا أحد علماء اللغة في بداية هذا القرن ،((تعبر المفردات عن الحضارة . واذا امتلكنا معرفة دقيقة عن اللغة الفرنسية فهذا يعني أن لدينا فكرة واضحة عن تاريخ الحضارة الفرنسية)) .

وبعد فهناك ثلاثة مواقف من الترجمة :

ـ موقف يرفض الترجمة لاستحالتها .
ـ وموقف يرى أنها ممكنة الى حدما .
ـ وموقف يرى أنها ممكنة مستندا الى مقولة ترى بوحدة الفكر البشري .

---

(١) الفونيم : هو الوحدة الصوتية الدنيا التي لايمكن تحليلها الى وحدات أصغر وهي ذات قيمة تمييزية ؛ فمن خلال كلمتي ألم /علم نميز الفونيمين أ و ع فهما وحدتان صوتيتان غير قابلتين للتحليل وتميزان بين كلمتين في اللغة العربية .

وعلى أية حال يجب أن لاننسى أن الترجمة غير ممكنة دوماوأنها ممكنة ضمن حدود معينة وضمن امكانات معينة . وبدل طرح هذه الحدود بشكل مطلق ،يفضل أن تعرف هذه الحدود وتجري احصاءات عن حالات الفشل في الترجمة في نص ما أو بين لغتين معينتين .